

## المحاضرة الثانية: الاتجاهات المفسرة للتنمية المستدامة.

### تمهيد:

عرف المسار الحضاري للإنسانية ظهور عدد لا بأس به من العمليات التي كان لها الدور البارز الإنسان في مختلف مستويات الحضارة، وهي جميعها تفيد في نهاية المطاف مفهوم التنمية، ونظراً لأهميتها في المسار الحضاري برزت عدد من الاتجاهات تفسرها وتميط اللثام عن نشأتها وكيف أصبحت الاستدامة مرادفة لمعناها.

### 1-الاتجاه التاريخي:

ربط أصحاب هذا الاتجاه عملية التنمية بالتكون التاريخي للتجمعات البشرية، ولذلك اهتموا بدراسة تطور أشكال المجتمعات المحلية الحضرية الأولى ، وعكفوا على دراسة الجذور التاريخية للمناطق الحضرية من حيث طبيعتها وتنوعها وخصائصها، برز في هذا الاتجاه جوردن تشيله "Jordan Tchilih" بمصطلح جديد أطلق عليه اسم "الثورة الحضرية المبكرة"، قاصداً به التنمية الشاملة الدائمة المنطوية على شكل صورة تجمعات كثيفة وبداية العمل بالنشاطات زراعية وفرض الضرائب وتراكم رؤوس الأموال وإقامة المباني الضخمة وتطور فنون الكتابة وتعلم مبادئ الحساب والفلك ، ومن جهته عرض المفكر إيريك المبارد "Erik Lambard" أربعة مراحل مر بها العالم في تكوينه وتحقيقه للتنمية رابطاً إيّاها بالمظاهر التي تميزها وهي كالتالي:

- مرحلة التحضر البدائي: تمثل هذه المرحلة تلك المحاولات الأولى التي قام بها الإنسان من أجل إحداث تكيف مع البيئة التي وجد بها وإيجاد ترابط بين الجانب المادي والمعنوي لضمان استمراره في الحياة.

-مرحلة التحضر المميز : بدأت في هذه المرحلة تظهر الملامح الأولى لتكون الاجتماع البشري، كما بدأت تتحدد أهم خصائصه وأهم المشاكل التي تعترض طريقه واهتماماته الأساسية كيفية استغلال ما يحيط به لتأمين غذائه.

-مرحلة التحضر الكلاسيكي: شهدت هذه المرحلة تركزاً مكثفاً للسكان بالعواصم ، ويؤكد إيريك التنمية الحقيقية لامبارد " Erik Lambard " أن هذه المرحلة تمثل بداية الاستقرار الحضري الحقيقي.

- مرحلة التحضر الصناعي: تعتبر هذه الأخيرة آخر مرحلة من مراحل التكوين الحضري، بدأت ملامحها بالظهور مع بداية القرن العشرين نتيجة لتدفق الأعداد الكبيرة للوافدين من الأرياف والمناطق الزراعية إلى المدن الكبيرة، لذلك سجلت المدن في العالم ككل نمواً سريعاً وازدادت وتيرة التنمية المستدامة، بلغت نسبة سكان المدن في بداية القرن العشرين 14 ثم ارتفعت إلى 30% في سنة 1950م لتصل إلى 47 سنة 1999، وفي خضم كل ذلك برز إلى الوجود أنموذج جديد في البناء الحضري أخذ يزداد كفه يسمى بالمدن المليونية، فقد سُجّل في بداية القرن العشرين وجود مدينة مليونية واحدة في العالم فقط سنة 1970م.

من خلال المراحل التي تم ذكرها، تبين أن التنمية المستدامة عملية إنسانية بالدرجة الأولى، ترتبط في نموها بالظروف التي تحيط بها.

## 2- الاتجاه الاقتصادي:

يرى رود هذا الاتجاه أن التنمية المستدامة مرحلة متقدمة من مراحل النمو الاقتصادي، فكلما ازدادت حركة التصنيع وتشعبت طرقها كلما ازدادت وتيرة التنمية عامة، ففي الوقت الذي كانت فيه أساليب العمل والإنتاج بسيطة وبدائية كانت التنمية المستدامة هي الأخرى بسيطة وبطيئة النمو، ومظاهرها تكاد تنعدم، وبتغير أساليب الاقتصاد وتطوره أو بعبارة أخرى الانتقال من نمط اقتصاد المعيشة الذي كان يعتمد بشكل مباشر على الفلاحة بمختلف أنواعها، ويرتكز على ثلاثة نقاط أساسية تتمثل في الأرض واليد العاملة ورأس المال، من أبرز رواد هذه النظرية المفكر الاقتصادي جزراس " Terasse " لقد حاول بدراسته حاضر عرض التاريخ الاقتصادي للحضارة الغربية سنة 1932م، وجد علاقة وطيدة بين النمو الاقتصادي الحاصل في دولة ما مع مقدار ما يكون فيها من تنمية مستدامة، وأن المناطق الاقتصادية هي الأكثر تحضراً مقارنة مع المناطق الأخرى.

خلالها من أبرز رواد هذه النظرية المفكر الاقتصادي حراس "Jerasse" ، بدراسته التي حاول من استعراض التاريخ الاقتصادي للحضارة الغربية سنة 1972م، لقد وجد علاقة وطيدة بين النمو الاقتصادي الحاصل في دولة ما مع مقدار تحضرها، وأن المناطق الاقتصادية هي الأكثر تحضراً مقارنة مع المناطق الأخرى.

### 3- الاتجاه النموذجي :

من الرواد البارزين في هذا الاتجاه المفكر الألماني ماكس فيبر "Max Fiber" ، أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث ، تنحصر وجهة نظره حول عملية التنمية المستدامة في كونها نموذج لأحد أنواع الفعل الإنساني الذي انبثق عن المحيط الذي يعيش فيه ، وأنها واقع من دون أي تخطيط مسبق لأنه حسب رأيه لا يمكن التعامل مع المدينة ككل وكأنها مادة جامدة يمكن ضبطها ضبطاً رقمياً كما هو الحال بالنسبة للظواهر الفيزيائية، بل هي وما تتضمنه من تنمية عبارة عن رد فعل تتجاوب من خلاله مع المحيط الذي توجد فيه، تنحصر سلبيات هذا الاتجاه في إنقاصه لقيمة التخطيط ودوره في توجيه المسار التطوري للمدن فحتى وإن كانت هذه الأخيرة ردة فعل لمجموعة من المعطيات التي تنحصر في الاجتماع البشري والاستقرار وتوفير مستوى معين من الترف ، لا بد أن تتقيد بقوانين تنظيمية لتفادي مع المناطق الأخرى حدوث نمو عشوائي.

### 4- الاتجاه الحضري:

يفسر هذا الاتجاه انبعاث التنمية المستدامة بالدول إلى ماهية الموقع الجغرافي من حيث احتوائه على الموارد الأولية والإمكانات الإنتاجية باعتبارها عوامل أساسية في دفع عجلة النمو باختلاف أشكاله سواء كان اجتماعي كالنمو الديموغرافي أو معماري كانتشار البنايات المتعددة الأغراض، عُرفت هذه النظرية باسم آخر وهو نظرية الحتمية الحضارية وتتلخص فكرتها في أن التنمية تتماشى وفقاً لموقع الدولة، فالدول المتخلفة توجد إما في مناطق شديدة الحرارة أو شديدة البرودة ولا توجد فيها تنمية، بينما الدول المتقدمة توجد بالمناطق المعتدلة وتتمتع بتنمية مستدامة جيدة. بالرغم من بعض الموضوعية التي تتميز بها هذه النظرية، إلا أنها تعرّضت للانتقاد لأنها تتعارض مع ما جاء في الواقع، هناك بعض

الدول التي تفتقر إلى كثير من الموارد وتعتبر من الدول الرائدة في التنمية الحضرية كاليابان، سويسرا نتيجة اعتمادها على البحث العلمي وإرساء سياسة رشيدة.

مما تقدم ذكره عن الاتجاهات المفسرة لعملية التنمية عامة ، يتضح وجود اختلاف في تفسيرها راجع لاختلاف مستوى وبيئة التفكير عند أصحاب تلك الاتجاهات، فهناك المتخصص في علم الاجتماع والتاريخ والبيولوجيا والاقتصاد، ومن جهة أخرى هناك من ينتمي إلى بلد نام وآخر متقدم، وعموماً تلتقي جميعها في أن التنمية عملية إنسانية بالدرجة الأولى وأنها في بعض المرات تكون ابنة بيئتها بالدرجة الثانية، فهي منتعشة في البلدان المتقدمة ومتدهورة في البلدان السائرة في طريق النمو.